الفارابي: حياته العقلية ومصادره الفلسفية

بقلم:
محمد فخر الدين عبد المعطي*

Abstrak

This article describes the personality, life and works of al-Farabi, one of the famous philosophers. It also discusses the Islamic and Greek sources from which al-Farabi built up his philosophical ideas. The article tries to show to what extent he has been influenced by the sources mentioned.

المقدمة

الفارابي هو الفيلسوف المسلم الذي جعل الفلسفة اليونانية شغله الشاغل لدرجة أنه استطاع أن يلم بها إلماما شديدا الأمر الذي جعله يستحق لقب الفيلسوف الكبير، وهو المعلم الثاني بعد أرسطو الفيلسوف اليوناني المشهور. ومن هنا لا بد أن نعرف حقيقة مذهبه الفلسفي بحيث إلى إى مدى اعتمد الفارابي على المصدرين الإسلامي واليوناني في تعليقاته الفلسفية علما بأن الأفكار اليونانية وخاصة المتمثلة في أرسطو وأفلاطون – وصفهما بالحكيمين – قد أعجبته مع أنه كان مسلما زاهدا في حياته. وربما كان من المفيد جدا أن نلقي الضوء على مثل هذا الموقف العلمي الأصيل الذي اتخذه هذا الفيلسوف المسلم العظيم. وها نحن اليوم في معركة بناء حضارة إسلامية جديدة ومن حولنا حضارات أخرى ولا سيما الغربية والتي تحمل في طياتـــها كل العناصر إيجابية وسلبية على السواء. وبالتالي كل نقاط قوة من فلسفته تتطلب عناية أكاديمية دقيقة تقديرا للجهود التي بذلها هذا الفيلسوف من خلال مؤلفاته المنشورة.

* الدكتور محمد فخر الدين عبد المعطي، محاضر بقسم العقيدة والفكر الاسلامي بأكاديمية الدراسات الاسلامية جامعة ملايا، كوالا لمفور، ماليزيا.

١) مولد الفارابي ونشأته وأسرته

ولد أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرفان في مدينة فاراب[١]، ولا يذكر الباحثون تاريخ مولده على وجه التحديد، وإنما ذكروا أن عمره عند وفاته كان ثمانين عامًا. وعلى هذا الأساس يمكن أن نحدد عام مولده عام ٢٥٩هـ[٢]، كانت حياته مليئة بالأسفار والتنقل من فاراب إلى بغداد ثم إلى مصر ومنها إلى دمشق حيث توفي فيها[٣]. وجدير بالذكر أن التاريخ لم يذكر عن حياته شيئا إلا بعد أن بلغ الخمسين من عمره، وكان قائدا للجيش، فارس الأصل[٤]، وكان لذلك أثره في نشأته على الصبر والشجاعة.

٢) دراسة الفارابي:

في بداية الأمر اهتم الفارابي بالإطلاع على آراء المتقدمين والقيام بشرحها، وكان ذلك عندما اشتغل ناطورا في بستان دمشق[٥]، وقيل أنه قد تلقى علومه الأولى في مدينة البصرة قبل انتقاله إلى بغداد حيث أنها قد كانت ملتقى العلماء والحكماء وكعبة القصد والمتعلمين، ولكن المؤرخين لا يذكرون كيف تلقى الفارابي تعليمه. وقد أشار ابن خلكان[٦] على أن الفارابي كان ملما بسبعين لسانا[٧]، ولكن المؤكد أنه كان متمكنا من اللغات العربية والتركية والفارسية[٨]. وإذا كانت العلوم والمعارف المؤلفة قد كتبت وقتئذ بتلك اللغات الثلاث فإنه من المؤكد أن الفارابي استطاع بنفسه قراءة تلك المؤلفات من غير الستعانة بالترجمات.

---

(١) فاراب: مدينة من بلاد الترك في أرض خراسان.

(٢) سعيد زايد، الفارابي، ص ١٥، ومن المتفق عليه عند المؤرخين أن وفاته كانت عام ٣٣٩هـ، ولكن الغموض حول مولده كان بسبب أنه لم يحك عن نشأته وصباه و لم يحك عنه غيره كما فعل كثير من الفلاسفة من أمثال ابن سينا وغيره.

(٣) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ص ٦٠٣.

(٤) ابن أبي أصيبعة، **المرجع نفسه**، ص ٦٠٣، وراجع: مصطفى عبد الرازق، **فيلسوف العرب والمعلم الثاني**، ص ٥٥-٥٦، وقد أشار بعض المؤرخين إلى أنه تركي الأصل، راجع: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، المجلد الخامس، تحقيق د. إحسان عباس، ص ١٥٥، وراجع: محمد فريد وجدى، **دائرة معارف القرن العشرين**، المجلد الرابع، ص ١٠٨، وراجع: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١١ / ص ٢٢٤.

(٥) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، المجلد الخامس، ص ١٥٥، تحقيق د. إحسان عباس، وذهب دكتور إبراهيم مدكور إلى القول بأن تمكن الفارابي من سبعين لغة إنما يدخل في باب الأساطير، لأنه لم يكن بعرف اليونانية، ويتبين عند تحليله لكلمة السفسطة في كتاب "إحصاء العلوم". راجع: سعيد زايد، الفارابي، ص ١٥.

(٦) سعيد زايد، **المرجع نفسه**، ص ١٥.

(٧) ابن خلكان، **المرجع نفسه**، ص ١٥٥.

(٨) سعيد زايد، **المرجع نفسه**، ص ١٥، ولكنه من المراجع أن الفارابي عرف أيضا اليونانية والسريانية ما يمكن فيه الكفاية لعهده، راجع: محمد لطفي جمعة **تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب**، ص ١٥.

ولقد تلقى الفارابي علوم المنطق في بغداد على أبي بشرمتى بن يونس. وقد تأثر بأسلوب أستاذه المعروف بالسهولة الجزلة كما أنه عاصر يوحنا ابن حيلان المنطقي وأخذ منه صناعته[٩]، ثم درس في بغداد أيضا العلوم الفلسفية. ويذكر ابن خلكان أن الفارابي قد قرأ فيها كتاب أرسطو "ما وراء الطبيعة" أربعين مرة، وبذلك لقب بحق المعلم الثاني بعد أرسطو كما صرح هو بنفسه أنه من أكبر تلاميذه[١٠].

وقد أشار الأستاذ سليم طه التكريتي إلى أن المعلم الثاني درس حين مقامه في بغداد وحرّان كل ما وصل إليه من كتب أرسطو وأفلاطون وفرفريوس وغيرهم من الفلاسفة اليونانيين الذين نقلت مؤلفاتهم إلى اللغة العربية في عصر الترجمة التي بدأها المنصور والرشيد وأكملها المأمون[١١].

وفي المرحلة الأخيرة من حياته تلقى علوم النحو على أبي بكر بن السراج الذي تلقى بدوره علوم المنطق عن الفارابي[١٢].

وبهذه الثقافات التي تلقاها الفارابي إما بنفسه مباشرة وإما من خلال أساتذته الكبار، وبما أضاف عليها من ثابت فكره يعد من أكبر فلاسفة الإسلام في عصره.

٣) زهد الفارابي:

ذكر المؤرخون أن الفارابي قد عاش زاهدا في متاع الدنيا من الجاه والمناصب والأموال، ووصفه بأنه إمام فاضل وحكيم ذكي، ومؤلف كبير، يعمل النهار ويسهر الليل للمطالعة والتصنيف، مستعينا بقنديل الحارس[١٣]. وعلى الرغم من صعوبة الحياة التي واجهها فقد استطاع أن يحصل علوم عصره، ويستوعبها بما مكنه في المستقبل من وضع مؤلفاته القيمة، ولقد وصلت شهرته إلى مسامع الأمير فاستضافه في بلاطه وكرمه الأمير سيف الدولة أبو الحسن على بن عبد الله بن حمدان الثعلبي في بلاطه وسط حشد من العلماء الفضلاء من كل مكان، وذلك لما اشتهر به من صناعة الموسيقى بالإضافة إلى العلوم والمعارف المتعددة في ذلك العصر[١٤].

---

(٩) ابن أبي أصيبعة، **المرجع نفسه**، ص ٢٠٥.

(١٠) ابن خلكان، **المرجع نفسه**، ص ١٥٤، وإن كان الدكتور عبد الرحمن بدوي قد أشار إلى أنه ليس من الثابت في أي مكان درس المنطق في حران أم في بغداد. راجع: كتاب **التراث اليوناني في الحضارات الإسلامية** وعبد الرحمن بدوي، ص ٧٥.

(١١) مجلة **المورد العدد الثالث**، ص ٩٦، أصدرتها وزارة الإعلام العراقية ١٩٧٥/ ١٣٩٥.

(١٢) ابن أبي أصيبعة، **المرجع نفسه**، ص ٢٠٢.

(١٣) ابن أبي أصيبعة، **المرجع نفسه**، ص ٢٠٣.

(١٤) ابن أبي أصيبعة، **المرجع نفسه**، ص ٢٠٤. ابن خلكان، **المرجع نفسه**، ص ١٥٤.

وتجدر الإشارة إلى أن الفارابي لم يقبل أن يأخذ من الأمير أكثر من الضرورية من المال، وكان يكتفي بأربعة دراهم في اليوم[١٥].

٤) وفاته:

توفي الفارابي في دمشق في شهر رجب عام ٣٣٩هـ، وصلى عليه سيف الدولة في أربعة من خواصه، وتفيد الروايات أنه كان من الثمانين من عمره حين وفاته، وقد دفن بظاهر دمشق خارج باب الصغير[١٦]. وذكر البيهقي في كتاب "تاريخ الحكماء" أن موته كان على أيدي اللصوص. ولكن الشيخ مصطفى عبد الرازق رفض هذا الرأي مؤكدا أن موته كان طبيعيا[١٧].

٥) مؤلفاته:

أجمعت الآراء على أن الفارابي بدأ بتصنيف مؤلفاته وهو في بغداد بل على أن معظم كتبه تم تأليفها فيها، وقد أشار الفارابي نفسه في كتاب "السياسات المدينة" بأنه قد بدأ في تأليفه ببغداد، وأكمله ببصرة، ثم عاد إلى دمشق وأقام بها[١٨]، ولكن مؤلفاته لم تحظ بالانتشار على نطاق واسع كما حظيت مؤلفات تلميذه ابن سينا ويقول ابن خلكان: "وكان أكثر تصنيفه في الرقاع، ولم يصنف في الكراريس إلا القليل، فلذلك جاءت أكثر تصانيفه فصولا وتعاليق، ويوجد بعضها ناقصا مبثورا"[١٩] ولم تصلنا مؤلفاته المدونة باللغة العربية إلا ثلاثون رسالة فقط[٢٠]، بل إن بعضا منها قد أثيرت الشكوك حول نسبته إلى الفارابي، وبصفة خاصة كتابي "فصوص الحكم" و"المفارقات"[٢١].

وقد عدّ ابن خلكان وابن أبي أصيبعة مؤلفاته التي بلغت ١٧ شرحا و٦٠ كتابا و٢٥ رسالة منها ١٢ كتابا في المنطق، و٩ كتب في الرياضيات والنجوم والكيمياء، و٣ كتب في الموسيقي[٢٢]. وقد نقل الدكتور عبد الرحمن بدوي أن كتب الفارابي تجاوزت المائة

---

(١٥) ابن خلكان، **المرجع نفسه**، ص ١٥٦.

(١٦) ابن خلكان، **المرجع نفسه**، ص ١٥٦.

(١٧) مصطفى عبد الرازق، **المرجع نفسه**، ص ٦٢-٦٣.

(١٨) ابن خلكان، **المرجع نفسه**، ص ١٥٥.

(١٩) ابن خلكان، **المرجع نفسه**، ص ١٥٦.

(٢٠) حنا الفاخوري وخليل الجر، **تاريخ الفلسفة العربية**، ج ٢ / ص ٩٣.

(٢١) Dr. Madkour, *Al-Farabi, A History of Muslim Philosophy*, Otto Haroswift Wiesbaden.

(٢٢) د. مصطفى غالب، **الفارابي**، ص ٢٠.

وأنه قدم للعالم العربي جزءا كبيرا من مؤلفات أرسطو وفلسفته في صورة مستساغة مفهومة[٢٣].

لقد كتب الفارابي في الأخلاق والسياسة والدين والتربية، والتربية العسكرية والرياضيات والبصريات وطبيعيات والصنعة والموسيقى والتاريخ وتقسيم العلوم[٢٤]. ويقول جولد تسيهر: إن الفارابي قد اهتم بجمع الأحاديث النبوية تبريرًا له من الاشتغال بعلوم الأوائل في وجه تهمة أهل السنة إزاءه، وقد دافع الفارابي عن صناعة المنطق بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم[٢٥]. وجدير بالذكر أن القسم الأكبر من مؤلفاته إنما هو شروح وتعليقات على فلسفة كل من أرسطو وأفلاطون وجالينوس تناول فيها الفارابي كتب المنطق والطبيعيات والنواميس والأخلاق وما بعد الطبيعة[٢٦].

وقد انتشرت مؤلفات الفارابي ابتداءا من القرن الرابع الهجري في المشرق العربي ثم انتقلت إلى الأندلس في المغرب فتتلمذ عليها كثير من الأندلسيين وترجم بعضها إلى اللغة اللاتينية وكذلك إلى اللغة العربية، وحتى يومنا مازالت مؤلفاته موجودة من مكتبات الدولة الأوروبية باللغات مترجمة[٢٧].

ومن أشهر كتبه المصنفة[٢٨]:

١- مقالة في أغراض ما بعد الطبيعة.
٢- رسالة في إثبات المفارقات.
٣- شرح رسالة زينون الكبير اليوناني.
٤- رسالة في مسائل المتفرقة.
٥- التعليقات.
٦- كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين أفلاطون وأرسطو.
٧- رسالة فيما يجب معرفته قبل تعلم الفلسفة.
٨- كتاب تحصيل السعادة.

---

(٢٣) د. عبد الرحمن بدوي، **التراث اليوناني في الحضرات الإسلامية**، ص ٧٩.
(٢٤) د. عبد الرحمن بدوي، **المرجع نفسه**، ص ٧٩.
(٢٥) د. عبد الرحمن بدوي، **المرجع نفسه**، ص ٨٠.
(٢٦) حنا الفاخوري وخليل الجر، **المرجع نفسه**، ص ٩٣.
(٢٧) نقلا عن سعيد زايد، **الفارابي**، ص ٢١.
(٢٨) حنا الفاخوري وخليل الجر، **المرجع نفسه**، ص ٩٣.

٩- كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة.
١٠- كتاب الموسيقى الكبير.
١١- كتاب السياسات المدينة.
١٢- إحصاء العلوم.
١٣- رسالة في العقل.
١٤- تحقيق غرض أرسطاطاليس في كتاب ما بعد الطبيعة.
١٥- رسالة فيما ينبغي أن تقدم قبل تعلم الفلسفة.
١٦- عيون المسائل.
١٧- رسالة في جواب مسائل سئل عنها.
١٨- ما يصح وما لا يصح من أحكام النجوم.

مصادره الفلسفية

١) إسلامية:

يقول جولد تسيهر إن الفارابي استخدم أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ليبرر خوضه في علم المنطق وذلك إرضاءا لأهل السنة الذين اتهموه بالخروج على تعليم الإسلام، ولكن كل ما كتب في كتابه هذا لم يبق لنا إلا عنوانه، وهو كلام جمعه من أقوال النبي عليه الصلاة والسلام يشير فيه إلى صناعة المنطق[٢٩]، ولهذا فالصياغة الإسلامية لا تتخلى عن فكر الفارابي ولا تنفصل عنه فيلسوفا، وهو يحذر من تعاطي الفلسفة إلا لمن كانت له معرفة دينية عريضة وإيمان إسلامي عميق، ومن لا تكون هذه حاله يكون عرضة للزيغ والضلال[٣٠]. ومن هنا وجدنا الاهتمام العميق بالعقيدة الدينية من قبل الفارابي للاشتغال بالفلسفة التي كان من السهولة أن يتعرض بها صاحبها للزيغ والضلال كما قلنا، وفضلا عن ذلك فقد سجل موقفه بكل وضوح عند دعائه إلى الله أن يعصمه من الزلل وأن يبارك كل خطواته[٣١].

---

(٢٩) د. عبد الرحمن بدوي، **التراث اليوناني في الحضارات الاسلامية**، ص ٨٠.

(٣٠) د. مصطفى الشكعة، **المطالعات الإسلامية في العقيدة والفكر**، ص ٢٨٤.

(٣١) ابن أبي أصيبعة، **المرجع نفسه**، ص ٦٠٦.

أما عن مؤهلات دارس الفلسفة فقد وضحها المعلم الثاني حيث قال: "ينبغي لمن أراد الشروع في علم الحكمة أن يكون شابا صحيح المزاج متأدبا بآداب الأخيار، قد تعلم القرآن واللغة وعلم الشرع أولا، ويكون صيّنا عفيفا متحرجا صدوقا، معرضا عن الفسق والضرر والخيانة، والمكر والحيلة، ويكون فارغ البال عن مصالح معاشه، ويكون مقبلا على أداء الوظائف الشريعة، غير مخل بركن من أركان الشريعة، وغير مخل بأدب من آداب السنة، ويكون معظما للعلم والعلماء، ولا يكون عنده شيء قدر إلا للعلم وأهله، ولا يتـــخذ علمه من جملة الحرف والمكاسب، وآلة لكسب الأموال، ومن كان بخلاف ذلك فهو حكيـــم زور وبـــهرج، فكما أن الزور لا يعد من الكلام الرصين، ولا بـــهرج من النقود، فكذلك من كانت أخلاقه خلاف ما ذكرنا لا يعد من جملة الحكماء"[٣٢].

ومن هنا نجد أن الفارابي قد وضع شروطا محددة قبل الاشتغال بالفلسفة على رأسها تعلم القرآن واللغة وعلوم الشرع. وفي حالة الالتزام بتلك الشروط فإنه يضمن أن لا ينتهي إلى بؤرة الزيغ والضلال، وكان ذلك أمرا واضحا في نصوص الفارابي المذكورة. وعلى كل حال فإنه من الضرورة بمكان الانتباه أن العلوم الفلسفية ذاتها في غاية الدقة والصعوبة مما يتطلب عقيدة قوية راسخة لدى المشتغلين بها قبل الخوض في دراستها.

والواقع أن الفارابي كان حريصا على أن لا يخالف تعاليم الإسلام وذلك يتبين من موقفه من مشكلة خلود النفس[٣٣]. وإذا كان التصوف والزهد من الأصول الإسلامية فإن منهج الفارابي الصوفي إنما كان يدخل في إطار هذه التعاليم السامية، ولم يكن يتبعه إلا تأثيرا بالإسلام وتعاليمه، وذلك لأن الزهد والتصوف مظهران للقرآن والحديث وحياة الرسول عليه الصلاة والسلام الشخصية. ولهذا فلا شك أن الفارابي لم يأخذهما من المصادر الأخرى غير الإسلامية سواء من الفاريسية والهندية أو من الأفلاطونية الحديثة التي حاول المستشرقون إثارة الجدل حولها زاعمين أن مصدر الزهد أو التصوف كان أجنبيًا عن الإسلام[٣٤]. ولقد وصف الدكتور عبد الحليم محمود هذا الزعم بأنه من مظاهر التعسف والاستهتار العلمي حيث نراه عند كثير من المؤلفين من الفلسفة الإسلامية أكانوا شرقيين أو غربيين على السواء، إذ انهم سارعوا بالحكم بالتقليد والتلفيق والأخذ من غير حساب بمجرد أنهم وجدوا نفس الأشياء في مصادر أخرى[٣٥].

---

(٣٢) د. الشكعة، **المرجع نفسه**، ص ٢٨٤-٢٨٥، نقلا عن **تاريخ الاسلام**، ص ٢٤-٢٥.

(٣٣) حنا الفاخوري وخليل الجر، **تاريخ الفلسفة العربية**، ج ٢ / ص ١٢٣.

(٣٤) د. عبد الحليم محمود، **التفكير الفلسفي في الإسلام**، ص ٢٦٢.

(٣٥) د. عبد الحليم محمود، **المرجع ذاته**، ص ٢٦٠-٢٦٢.

وإذا كان التصوف أو الزهد موجودين في المصادر الأخرى غير الإسلامية أو في عقائد الهندية والفارسية، فإننا على يقين بأن هذا التشابه إنما كان من قبيل المصادفة فقط، وكيف يعقل أن فيلسوفا إسلاميا كبيرا مثل الفارابي قد فضّل عقائد الملل الأخرى الباطلة على دينه الحنيف. وعلينا أن نقدر كيف أنه قد زهد في حياته وسط الإغراءات المادية الهائلة الماثلة في ضيافته لدى بلاط الأمراء. الحق أن الدافع الديني القوي كان وراء ذلك طلبا لمرضاة الله ورضوانه، وحياته في هذه الناحية لا يختلف حولها المؤرخون والباحثون المنصفون، وكيف أن الفارابي لم يرد قبول شيء من أميره إلا بقدر ضئيل يسد حاجته الضرورية وكل ذلك على نهج الإسلام سار به الفارابي في حياته قولا وعملا، ثم يتأثر في عقليته ما يخالف ذلك؟

فالواضح أن الفارابي قد اهتم بالعلم والعمل على السواء، ويقول: ينبغي قبل الدرس لعلم الفلسفة أن تصلح أخلاق النفس الشهوانية كما تكون الشهوة للفضيلة فقط، التي هي بالحقيقة، لا التي يتوهم أنها كذلك - أعني اللذة ومحبة الغلبة - وذلك يكون بإصلاح الأخلاق، لا بالأقوال فقط، لكن بالأفعال أيضا، ثم تصلح بعد ذلك النفس الناطقة، كما نفهم منها طريق الحق التي يؤمن معها الغلط والوقوع في الباطل"[٣٦].

ويفهم من أقوال الفارابي المذكورة أن الأقوال لا تعني شيئا إلا بإقترانـــها بالأفعال، ولا شك أن هذا من تعاليم الإسلام التي تطالب دائمًا باقتران القول بالعمل في حياة المسلمين كما ورد في كثير من الآيات في القرآن الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ ﴾[٣٧] ويقول عليه الصلاة والسلام: "الإيمان ليس بالتمني ولا بالتحلي ولكن هو ما وقر في القلب وصدقه العمل"[٣٨]. وكل ذلك يدل على أن الفارابي له اهتمام كبير بالأعمال الصالحة التي تتمثل في الأخلاق الحميدة والبعد عن الوقوع في الباطل. وهو في ذلك يهتم بالجوانب النظرية والعملية على السواء.

ولما كانت قضية التوفيق بين الدين والفلسفة قد شغلت الفلاسفة الإسلاميين ابتداءً من الكندي، فإن الفارابي له اهتمام عظيم بهذه القضية. و لم يكن دوره في هذا الأمر إلا من منطلق ما يأمره الدين نفسه - في نظره - أو على الأقل لا مانع من قبل الدين

---

(٣٦) الفارابي، **ما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة**، ص ١٢، نقله د. عبد الستار نصار في كتابه **المدرسة السلفية**، ص ٢٩٨.

(٣٧) سورة **الصف**: آية ١-٢.

(٣٨) رواه الديلمي في الفردوس عن أنس، راجع: **فيض القدر**، ج ٥٥ / ص ٣٥٢.

الإسلامي في ذلك وخصوصا من أن الغاية من الدين والفلسفة واحدة وهي الحق والحقيقة. وكما يقول ابن رشد إن الحق لا يضاد الحق[٣٩]، وبالتالي أراد الفلاسفة الإسلاميون في عملهم التوفيق بينهما للتأكيد من جانبهم على عدم تعارض بينهما بأي حال من الأحوال. وإذا كان الإسلام في تعاليمه يدعو إلى السعادة الإنسانية فإن الفلسفة في نظرياتـــها تدعو أيضا إلى نفس الهدف، وربما كان الطريق إليها مختلفا بينهما ولكنها لن تتحقق أبدًا إلا باعتقاد الحق وعمل الخير[٤٠].

وقد حاول ابن رشد الدفاع عن الفلسفة والفلاسفة مؤكدا على أنه من حق الفلاسفة أن يؤلوا النصوص الدينية كما يشاؤون وذلك لأنهم من العلماء الراسخين في العلم كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾[٤١]. وهم العلماء الذين أطلعهم الله على الحقائق[٤٢]. ولهذا فإن التوفيق الذي قام به الفلاسفة إنما يدخل تحت إطار التأويلات التي أمر بها الدين للراسخين في العلم، وجدير بالذكر أن الفيلسوف ابن رشد قد قام بالدفاع عن الفلسفة والفلاسفة بكل ما أوتي له من حجج نقلية وعقلية وخصوصًا في مواجهة اتهامات الغزالي لهم بما دعاه إلى أن يضع كتابا سماه بـــ "تهافت التهافت" أي تهافت "تهافت الفلاسفة" الذي ألفه الغزالي من قبله.

وإذا كان الغرض من تهافت الفلاسفة عند الغزالي هو إبطال كل ما جاء من أفكار اليونان وهدمها وذلك من خلال الفليسوفين الفارابي وابن سينا، فإن ابن رشد قد جاء مؤكدا على تهافت آراء الغزالي المناهضة للفلسفة والفلاسفة. وفي وقت ذاته فقد دافع عن اليونان وبالتالي عن أفكار الفارابي وابن سينا التي تخالف جوهر الدين في نظر الغزالي وهي المسائل الثلاثة التي كفر به الفلاسفة جميعا.

لقد ذهب الغزالي إلى القول بأن فلسفة أرسطو تنحصر إلى ثلاثة أقسام: قسم يجب تكفير به، والمسائل الثلاث تقع في هذا القسم. والثاني: قسم يجب التدبيع به ويشمل هذا القسم سبعة عشرة مسألة ومنها مذهبهم في أبدية العلم. والقول إن الله صانع العالم وأن العالم صنعه، وإن الله يعلم ذاته وغيرها. والثالث: قسم إنكاره أصلا، ويشمل هذا القسم

---

(٣٩) ابن رشد، **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الإتصال**، ص ١٥.

(٤٠) محي الدين الصافي، **قضية التوفيق بين الدين والفلسفة**، ص ٥-٦.

(٤١) سورة **آل عمران**: آية ٧.

(٤٢) ابن رشد، **تهافت التهافت**، تحقيق د. سليمان دنيا، ص ٢٦.

العلوم مثل الرياضيات والطبيعيات والسياسات وغيرها[٤٣]، وأما المسائل الثلاث فهي التي تهمنا في هذا البحث، وذلك نظرا لأهميتها إذ أنها تتعلق بالعقيدة الإسلامية، وأنها قد تثير شكوكًا فيها عند كثير من فلاسفة الإسلام وعلمائه. وهذه المسائل الثلاث كما حددها الغزالي هي قدم العالم أولا وإنكار علم الله بالجزئيات ثانيًا، وانكار بعث وحشر الأجساد ثالثا. وقد زعم الغزالي أن هذه المسائل الثلاث المذكورة لا تلائم الإسلام بوجه ومعتقدها معتقد كذب الأنبياء – صلوات الله عليهم وسلامه[٤٤].

هكذا كان موقف الغزالي من الفلسفة والفلاسفة، و لم يكن يثق في منهجهم للوصول إلى الحق والحقيقة. ولقد تحدث التاريخ بالتفصيل عن الصدام العقلي بين الفلاسفة والعلماء عبر عصورهم وإن كانوا يتصدون – في زعمهم – للدفاع عن الإسلام وتعاليمه. وإذا كان مذهب أرسطو الذي تأثر به فلاسفة الإسلام فيه ومخالفة صريحة للإسلام – كما تقدم – فإن الغزالي يرى أنه لزاما عليه أن يحاربه باسم المسلمين كافة على اختلاف فرقهم وتباين مذاهبهم. وقد قام الغزالي متخذا سلاح أرسطو نفسه وهو سلاح المنطق في هذا الصدد[٤٥].

ومن ناحية أخرى فإن التعاليم الإسلامية لم تكن مقتصرة على الجوانب الفلسفية من أفكار الفارابي وإنما هي تؤثر في نظرياته السياسة. وقد ذكر الدكتور على عبد الواحد أن الفارابي قد تأثر بالتعاليم الإسلامية في نظريته عن الاجتماع الأول حيث جعله أكمال المجتمعات الكاملة جميعا على وجه الأرض وذلك لأن الإسلام ذاته يهدف إلى إخضاع العالم كله لحكومة الخليفة الذي هو ظل الله في أرضه[٤٦]. ولهذا فإن المصدر الإسلامي هو الذي تمسك به الفارابي دائما في كل رأي من آرائه.

---

(٤٣) د. نازلي إسماعيل حسين، **الميتافيزيقا والبحث عن الوجود**، ص ٢٩٤-٢٩٥. وراجع: د. عبد المعطى بيومي، **الفلسفة الإسلامية في المشرق والمغرب**، ص ٢٨-٣٠. وراجع أيضا: **تهافت التهافت** لابن رشد من تحقيق د. سليمان دنيا، ص ٢٣.

(٤٤) الغزالي، **تهافت الفلاسفة**، تحقيق د. سليمان دنيا، ص ٣٠٨-٣٠٩.

(٤٥) دي بور، **تاريخ الفلسفة في الإسلام**، ترجمة د. عبد الهادي أبو ريدة، ص ٢٠٦-٢٠٨. الواقع أن الغزالي لم يكن يرفض النطق من علوم اليونان بل أنه قال أن من ينكر قضيا المنطق كمن ينكر العقل سواء بسواء، وكما قال أيضا إن الحق لا يعرف بالرجال، ولكن الرجال يعرفون بالحق. راجع: د. محمد عبد الستار، **المدينة السلفية** ص ١٨٦-١٨٧.

(٤٦) عبد الواحد وافي، **فصول من آراء أهل المدينة الفاضلة**، للفارابي ص ٢٤.

ومن كل ما تقدم أصاب المؤرخون الحق عند ما وصفوا الفارابي بأنه أكبر فلاسفة الإسلام، كما وصفه ابن خلكان "لم يكن منهم من بلغ رتبته في فنونه"[٤٧]، وبالتالي أن فلسفته فلسفة إسلامية لا غبار عليها بل اعتبروا أنه واضعها ومؤسس قواعدها، وكما يقول الدكتور إبراهيم مدكور في شأنه بأنه "أول من صاغ الفلسفة الإسلامية في ثوبها الكامل، ووضع أصولها ومبادئها"[٤٨]. ولا شك أن إطلاق الفلسفة الإسلامية يقوم على أساس أن التعاليم الإسلامية من خلال مصادرها هي عنصر أساسي في فلسفته وذلك لطبيعة الإسلام ذاته الذي يدعو إلى التفكير والبحث والاهتمام بالمسائل الكونية والشرائع الاجتماعية والأحكام التأملية مما أدى إلى مختلف ألوان العلوم والمعارف التي يمكن تصل إليها عقول البشر. وفي هذا الإطار الفكري عاش فيه مفكرو التراث[٤٩] الإسلامي طوال عصورهم. والقرآن الكريم والأحاديث النبوية حريصان على الدعوة إلى ذلك. ولا شك أنه إذا كان الفارابي واحدًا من هؤلاء بل أعظمهم مكانة كما اعترف المؤرخون في الشرق والمغرب، فإن الإسلام نفسه له دور في ذلك.

ومهما كان الفارابي متأثرا بالمصادر اليونانية إلى حد ما ولكن الأمر في الحقيقة هو أن الفارابي لا يرى في ذلك مخالفة صريحة للنصوص الدينية، وإلا كيف أنه قد حدد شروطا محددة لمن أراد الاشتغال بالفلسفة وذلك لئلا يتعرض لما لا تحمد عقباه عقائديا. وكذلك نجد في صيغة دعائه إلى الله سبحانه وتعالى سأله أن يحفظه عن الضلال والزيغ. وقد وصف الدكتور مصطفى الشكعة دعائه بأنه "دعاء مؤمن وابتهال فيلسوف لم تخرج به الفلسفة والإيغال في درسها والإقبال عليها عن جادة الإيمان، ولم يشطح به الفكر إلى منحنيات الضلالات. وهذا هو الأساس الإسلامي المتين الذي ارتكز عليه الفارابي فهما وممارسة وإيمانا"[٥٠]. وعلى كل حال فإن الفارابي كان بحق قد جمع بين الإخلاص للفلسفة والإيمان بالدين، ومن غير الممكن أن يكون خارجا على الدين[٥١]، ولهذا نقول إن المصادر الإسلامية هي رئيسة في فلسفته.

---

(٤٧) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، تحقيق د. إحسان عباس، م ٥ / ص ١٥٣.

(٤٨) إبراهيم مدكور، **في الفلسفة الإسلامية**، ج ١ / ص ٣٩.

(٤٩) د. فوقية حسين محمود، **مقالات في أصالة المفكر المسلم**، ص ١١-١٢.

(٥٠) د. مصطفى شكعة، **المطالعات الإسلامية في العقيدة الفكر**، ص ٢٨٧، وراجع: ابن أبي أصيبعة، **المرجع نفسه**، ص ٦٠٦-٦٠٧ حيث ذكر فيه ابتهالات الفارابي إلى الله كاملة.

(٥١) ص ١١٢ من مجلة "المورد" السابقة.

٢) يونانية:

أفاد الفارابي من آراء أهل اليونان إفادة عظيمة ربما لم يفدها أحد من الفلاسفة المسلمين، وأن اللقب الذي لقب به وهو المعلم الثاني هو أصدق الدليل على مدى هذا التأثير والإفادة وخصوصا من مذهب أزسطو وهو المعلم الأول. وقد اعترف الفارابي بإعجابه الشديد بآراء أرسطو حتى أنه كان إذا سئل أهو أعلم أم أرسطو أجاب: "لو أدرك لكنتُ أكبر تلاميذه" كما يذكر أنه قال: "قرأت السماع لأرسطو أربعين مرة"(٥٢) كما يذكر أيضا: "أن سبب قرأته الحكمة أن رجلا أودع عنده جملة من كتب أرسطوطاليس فاتفق أن نظر فيها فوافقت منه قبولا وتحرك في قراءتـــها و لم يزل إلى أن اتقن فهمها وصار الفيلسوف الحقيقة"(٥٣).

هذا من الواضح أن الفارابي قد استفاد من مذهب أرسطو وتأثر بكثير من آرائه الفلسفية، بل إن دوره لم يكن أقل من دور ابن سينا بالنسبة على تقرير المذهب الأرسطي الخالص كما بينه دي بور(٥٤)، كما أن تأثر الفارابي بأرسطو قد أهلّه لأن يكون ممثلاً بارزًا لتلامذة أرسطو الشرقيين بعد الكندي(٥٥). ويقول ابن خلكان "أن الفارابي قد تنـــاول جميع كتب أرسطوطاليس وتعهد في استخراح معانيها، والوقوف على أغراضه فيها"(٥٦) ولذلك اعتبر الفارابي كأعظم المفسرين لمنطق أرسطو بوجه خاص ذلك لأنه قام بدور كبير ودراسات عميقة مطولة لمؤلفات أرسطو، كما أنه أولى مؤلفات أفلاطون نفس الاهتمام حتى يستطيع أن يفهم كلا منهما فهما عميقا ليبين أن الخلاف بين هذين الحكيمين كان سطحيا فقط دون مساس الجوهر فيه(٥٧).

وجدير بالذكر أن أفكار أرسطو اختلطت بتعاليم الأفلاطونية الحديثة لدى الفارابي، اختلاط يشوش مفاهميه أو يناقض بعضها مع البعض الآخر أحيانا. وبالمناسبة فإن الفارابي نفسه لا يعي عدم إمكانية انسجام هذين المفهومين المتناقضين أحدهما مع الآخر(٥٨).

---

(٥٢) ص ١١٢ من مجلة "المورد" السابقة.

(٥٣) ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ص ٦٠٦.

(٥٤) دي بور، **تاريخ الفلسفة في الإسلام**، ترجمة د. عبد الهادي أبو زيدة ص ١٦٦.

(٥٥) البروفسور او ماكوقبلسكى، **الفارابي بين مناطق عصره**، مقال من مجلة "المورد" العراقية، ص ٦٣، م ٣، عدد ٣، ١٩٧٥.

(٥٦) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، تحقيق د. إحسان عباس، م ٥ / ص ١٥٤.

(٥٧) حنا الفاخوري وخليل الجر، **تاريخ الفلسفة العربية**، ج ٢ / ص ١٠٣.

(٥٨) ص ٦٥ من مجلد "المورد" السابقة.

وقد ثبت لدى الباحثين أن أفكار أرسطو التي وصلت على المسلمين لا تقف عند حد اختلاطها مع الأفلاطونية الحديثة بل إن عقليات أخرى متنوعة اعترضت طريقها إلى المسلمين، فقد تناولت هذا التراث الإغريقي القديم عقلية الرومان في روما، وعقلية المصريين في الإسكندرية وعقلية الفينيقيين في مدراس الشرق الأدنى[٥٩]. وبهذه الاختلاطات المختلفة كان لا بد أن يكون لها أثر في تعديل هذا التراث الإغريقي أو في تصويره بصورة ليست كلها للإغريق، إذ أن من بين ثقافات هذه العقليات التي تناولته ثقافة العقليات الشرقية فهي دينية وسماوية إلى حد كبير فأضافت عليه ثوب الدين السماوي، بجانب ثوب الزهد الصوفي الشرقي[٦٠].

ولذا نستطيع أن نقول بأن الفلاسفة الإسلاميين ومنهم الفارابي كأعظمهم قد أخذوا تراث اليونانيين وبخاصة تراث أرسطو على هذه الصورة المشتملة على الحضارات القديمة من آشورية وبابلية وهندية ومصرية[٦١]. ومن هنا يتجلى موقف الفارابي من تلك الحضارات كلها من أنه استطاع بسعة أفقه أن يستوعب تلك التيارات الفكرية التي سادت عصره وقتئذ.

وتأكيدا لذلك يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي في مقدمة كتابه "التراث اليوناني في الحضارات الإسلامية" بأن الروح الإسلام أخذت العناصر الداخلية على الروح اليونانية وهي عناصر شرقية، ولهذا فالروح الإسلامية استردت ما أخذته الروح اليونانيه منها. ولهذا لم تهضم أرسطو بل هضمت الأفلاطونية تماما وهضمت أرسطو الأفلاطونية"[٦٢].

وهذا يعنى أن أرسطو وغيره من اليونانيين قد وصلوا إلى المسلمين في ثوب أفلاطوني (موحد)[٦٣]. وعلى الرغم من هذه الصورة من اختلاط أفكار أرسطو بغيرها مما يصعب تحديد حقيقتها والتفريق فيما بينها، فإننا لا نستطيع أن ننكر أن الفارابي قد عكف على دراسة آراء أرسطو الخالصة من خلال مؤلفاته مما مكّن - بعد دراسته لها - من القيام بشرحها وبيانها، الأمر الذي ساعد الفلاسفة اللاحقين والباحثين على الاطلاع على آراء أرسطو وفلسفته، بل إن ابن سينا نفسه قد اعترف بهذا، ولا سيما أنه قد وجد كتاب الفارابي في شرح كتاب "ما بعد الطبيعة" لأرسطو كبداية فهم وادراك ليسير على طريق الفلسفة، ولهذا فقد عد من أكبر الفلاسفة متأثرا بالفارابي.

---

(٥٩) محمد البهي، **الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي**، ص ٢٨٠.

(٦٠) د. محمد البهي، **المرجع ذاته**، ص ٢٨١.

(٦١) د. فيصل بديرعون، **نظرية المعرفة عند ابن سينا**، ص ٣١١.

(٦٢) د. عبد الرحمن بدوي، **التراث اليوناني في الحضارات الإسلامية**، ص ٢٢.

(٦٣) د. فيصل بديرعون، **المرجع نفسه**، ص ٣١٢.

والواضح أن الفارابي قد تعرف على أرسطو مباشرة. وقد أشار الشهرستاني إلى: "أن من المتأخرين من فلاسفة الإسلام - وكان منهم: الفارابي كما ذكر- قد سلكوا كلهم طريقة أرسطوطاليس في جميع ما ذهب إليه. وانفرد به، سوى كلمات يسيرة ربما رأوا فيها رأي أفلاطين والمتقدمين(٦٤). وهذا يعني أن هناك جوانب تظل على أصالتها مما أفاد منها الفارابي من خلال دراسته لمؤلفاته، ومهما تكن أفكار أرسطو فإنـــها كانت دائما محل أخذ ورد عند الفارابي وغيره من الفلاسفة، وإلا فأنى له ولهم الأصالة والابتكار، ولو لا الابتكار والأصلة اللتين تميز بهما فيلسوف مثل الفارابي لما وصل إلى ما وصل إليه من الشهرة العظيمة التي استمرت حتى يومنا هذا ليصبح من أعظم الفلاسفة في الشرق والمغرب، ولا يعني هذا أنه لم يتأثر بمصادر أخرى.

فقضية التأثر والتأثير بين السابقين واللاحقين في الدراسات البحوث إنما هي قضية حتمية حيث: إنه ليس في تاريخ الفكر الصحيح تقليد تام، وإن الفكرة الفلسفية عندما تنتقل إلى بيئة ثقافية أخرى وتدخل في نظام فكري جديد يتغير من وجوه شتى، وهي في هذه الحال ليست مِلكا لأهلها الأولين بل مِلكا لأصحابها الجدد الذين اتخذوا منها نقطة بداية لنـــزعات جديدة تناسب روحهم وجملة تفكيرهم الفلسفي(٦٥). وعلى الرغم من ذلك فإن موفق الحق الأيبني الباحث المتأخر صرح الحق من جديد لبنة لبنة وإنما ينظر فيما ترك الأوائل من آراء(٦٦). ويقول بول الفيرى: "لا شيء أدعى إلى إبراز أصالة الكاتب وشخصيته من أن يتغذى بآراء الآخرين، فما الليث إلا عدة خراف مهضومة(٦٧).

وعلى جانب آخر كان من الأهمية بالنسبة إلى المصادر التي استقى منها الفاربي فإن هناك عددا من الأساتذة الكبار في عصره الذين تلقى الفارابي ثقافته وعلومه على أيديهم. ومن الثابت تاريخيا أن الفارابي قد توجه إلى بغداد التي تعد وقتئذ مركزا للعلم والثقافة أيام حكم العباسيين، وقد ذكر المؤرخون أن الفارابي قد تتلمذ على يوحنا بن حيلان، وهو نصراني الديانة، وكما أنه عاصر أبا بشرمتى بن يونس وتجدر الإشارة إلى أن أبا بشرمتى بن يونس كان تلميذ القويرى وهو أبو إسحاق إبراهيم صاحب كتاب التفسير "قاطيغور باس مشجر" وكتاب "بربرمنياس مشجر" كتاب "أنا لؤطيقا الأول مشجر" وهو شرح لكتاب "سوفسطيقا" لأرسطو كما نقله القفطي(٦٨).

---

(٦٤) الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج ٣، تحقيق الأستاذ عبد العزيز الوكيل، ص ٣.

(٦٥) د. عبد الحليم محمود، **التفكير الفلسفي في الإسلام**، ص ٢٧١.

(٦٦) د. عبد الحليم محمود، **المرجع نفسه**، ص ٢٧٠.

(٦٧) د. محمد حسن عبد الله، **مقدمة في النقد الأدبي**، ص ٨٨-٨٩.

(٦٨) د. عبد الرحيم بدوي، **التراث اليوناني في الحضارات الإسلامية**، ص ٧٥-٧٨.

ومن هنا نرى أن الفارابي قد تاثر بيوحنا بن حيلان إلى حد كبير كما تأثر بأبي بشرمتى التي اشتهر بثقافته المتنوعة، كما تتلمذ الفارابي على معظم الأساتذة الكبار في ذلك العصر، فقد تعلم المنطق من راهبين يعقوبيين "وقيل بنيامين"[٦٩] وأن تأثره بابن حيلان يعني تأثره بمدرسة الإسكندرية عن طريق غير مباشر، وذلك لأن ابن حيلان قد تلقى علومه على يد رجل تخرج من مدرسة الإسكندرية وهي إحدى المراكز الثقافة والعقلية الشهيرة إبان القرن الخامس الميلادي[٧٠]. وجدير بالذكر أن رجلين أحدهما – الواحد من أهل مرو والآخر من أهل حرّان – هما اللذان تعلما على معلم واحد نقل العلوم اليونانية من الإسكندرية إلى أنطاكية، وهذه الأخيرة أيضا قد أصبحت مركزا للعلوم العقلية بعد الإسكندرية. ومن هنا يمكن أن نقول بأن الفارابي قد تلقى ثقافاته اليونانية التي تجمعت في الإسكندرية وأنطاكية بواسطة أستاذه وأستاذ أستاذه كما بينته تلك الرواية.

وقد حاول الدكتور إبراهيم مدكور في إثبات تأثر الفارابي بمدرسة الإسكندارية مؤكدا على أن الجزء في كتاب "الربوبية" والذي دعا إليه رجال مدرسة الإسكندرية إنما يشبه الاتصال الذي جد الفارابي في طلبه، الأمر الذي يدل على العلاقة الوثيقة بينهم وبين الفارابي، وأضاف الدكتور إبراهيم مدكور أن هذا الكتاب هو المرآة التي عكست كثيرا من آراء أفلوطين وأتباعه، فالفارابي إذن بالإضافة إلى تأثره بالبيئة ومفكري الإسلام المحيطين به فإنه أيضا في نظريته عن السعادة إنما في تكوينها تخضع خضوعا كبيرا لنظرية الخير الأسي الأرسطية ونظرية الجزء الأفلوطينية[٧١]، كما اتفق الباحثون على أن الفارابي قد أخطأ عندما جعل كتاب "أثولوجيا" مصدرا لنظارية ومحاولته في التوفيق بين الحاكيمين أفلاطون وأرسطو، بحيث إنه قد كتب ذلك في كتاب "الجمع بين رأيَيْ الحاكيمين" وقد نسب الفارابي كتاب "أثولوجيا" إلى أرسطو خطأ مع أن الحقيقة أنه يتضمن الآراء الإسكندرية، كما أنه عبارة عن مقطعات مفردة من كتاب "الناسوعات" لأفلاطين[٧٢]، وهكذا فإن الفارابي أيضا قد سلك مسلك المفكرين الروّاقيين القدماء – زينون وأتباعه – في معارضته للأفكار الأفلوطينية الخاصة بأسبقية الروح أو النفس وجودا على البدن. ولا

---

(٦٩) د. عبد الرحمن بدوي، **التراث اليوناني في الحضارات الإسلامية**، ص ٧٨.

(٧٠) د. عبد الرحمن بدوي، **نفس المراجع**، ص. ٣٨.

(٧١) د. ابراهيم مدكور، **في الفلسفة الإسلامية**، جزء ١، ص ٥٨.

(٧٢) د. مصطفى غالب، **الفارابي**، ص ٢٥.

شك أن الفارابي لا يتفق على ذلك مؤكدا على أن النفس لا تسبق البدن، إنما تولد مع البدن في الوقت ذاته[٧٣].

تحدثنا عن أهم المصادر الفلسفية التي أخذ منها الفارابي كل أفكاره إسلامية كانت أم يونانية، والمصادر الإسلامية هي رئيسة عند الفارابي، وتحت ظل الإسلام أسس الفارابي مذهبه الفلسفي، وهو صوفي بالمقام الأول، وكانت حياته زاهدة، وتصوفه كان فريدا من نوعه، وكل هذا إنما كان متأثرا بالمصادر الإسلامية، وتأكيدا على أصالته وابتكاره، فإن الفارابي قد أراد أن يبرر تمسكه بالآراء اليونانية المتمثلة في أفلاطون وأرسطو، مستخدمًا قاعدة إسلامية وهي التأويل مؤكدا على أن الدين والفلسفة لا تناقض بينهما إطلاقا[٧٤]، ولو أنه أثار الجدل حينما نسب إليه القول بإعلاء شأن الفلسفة على الدين من ناحية الأدلة التي تستخدم في إثبات الموضوعات[٧٥]، وكذلك فيما نسب إليه من القول بأن طرق الفلسفة يقينية في حين أن طريق الدين ما هو إلا تمثيلا لها وتخييلا[٧٦].

وما من شك أن مثل هذه الأقوال تخالف مخالفة صريحة حقيقة الدين الإسلامي الحنيف إذ إن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، ولا يمكن من الوجوه قبول تغلب الفلسفة على الدين أو العقل على النقل، وذلك لأن الفلسفة ما هي إلا وليدة العقل البشري المحدود الذي يخطىء ويصيب في حين أن الدين هو أحكام وقوانين صادرة من العليم الحكيم الذي أحاط بكل شيء علما يعلم ما يصلح عباده فكلفهم بالدين الذي يضمن لهم سعادة الدارين[٧٧].

---

(٧٣) د. مقال من مجلة المورد السابقة، ص ٤٩.

(٧٤) د. خليل أحمد خليل، **مستقبل الفلسفة العربية**، ص ١٥٦.

(٧٥) د. محي الدين الصافي، **التوفيق بين الدين والفلسفة**، ص ٥.

(٧٦) د. محي الدين، **المرجع نفسه**، ص ٥.

(٧٧) د. محي الدين الصافي، **المرجع نفسه**، ص ٧، وأشار الدكتور حسن عاص إلى أن علوم الفلسفة والعلوم البشرية في نظرية الكندي فهي عبارة عن ثمرة تكلف وبحث وقصد في زمان طويل، طبقا للمنهج العلمي والفلسفي تنال بالطلب والحيل والمنطق والرياضيات، ذلك يعود إلى تعريف الفلسفة نفسه كما حدده الكندي، راجع: التفسير القرآني واللغة الصوفية في فلسفة ابن سينا ، للدكتور حسن عاص، ص ١٨٠.

الفارابي بين الأخذ والرد

وأما المصادر اليونانية فإن الفارابي قد أفاد منها بالأخذ والقبول لدرجة أنه قد استحق أن يقلب بالمعلم الثاني بعد أرسطو، ولا يمكن القول بأن هذا اللقب كان بمثابة أمر بسيط يمكن أن يسند إلى أي من الفلاسفة بغير حساب، وإلا فكيف نفسر أن هناك عددا من الفلاسفة – قبل الفارابي من أمثال الكندي وبعده من أمثال ابن سينا وغيره – لم يتلقوا مثل هذا التقدير كما تلقاه الفارابي متمثلا في ذلك اللقب "بالمعلم الثاني" مع أنهم قد بذلوا جهدا مشكورا في دراسة أفكار أرسطو وكما أن الفارابي قد أعلن صراحة أنه كان أكبر تلاميذ أرسطو كما نقل ابن أبي أصيبعة في كتابه – كما تقدم – و لم يستطع أي فيلسوف أو باحث أن يدحض هذا الإعلان بل لقد أجمعت الجمهرة على أنه المعلم الثاني بعد أرسطو.

ولا يعنى هذا أن الفارابي قد وقف من اليونان مقلدا جملة وتفصيلا وإنما درس أفكارها دراسة مستفيضة وأخذ منها ما أخذ ورد عليها ما ورد، وبعبارة أخرى فإن الأفكار كلها كانت محل أخذ وردّ على السواء، ومن هنا أطلق عليه الباحثون الفيلسوف النقدي وبالتالي كان منهجه نقديا[٧٨].

وكما سبق قولنا بأن المصدر اليوناني كان هو المسؤول عن تعرضه – بسبب تمسكه به – للهجوم من قبل الفلاسفة والفقهاء من بعده[٧٩] مع أنه قد بذل كل وسعه في التوفيـــق بين الدين والفلسفة على أساس أن الهدف منها واحد ألا وهو الحق والحقيقة – كما تقدم –. هذا موقف قد أثار وجهات نظر مختلفة بين التأييد والمعارضة، وقد حمل لواء التأييد الفيلسوف الأندلسي ابن رشد مؤكدا أن الآراء الفلسفية كلها تدخل تحت إطار التأويلات التي كانت مطلوبة ومكلفة على الراسخين في العلم وهم الفلاسفة – كما قلنا.

وأما حجة الإسلام الغزالي من قبل ابن رشد فقد كان من أشد المعارضين للفلسفة والفلاسفة، وقد سبق أن قلنا كيف أن المسائل الثلاث هي السبب الوحيد وراء تكفير الفلاسفة ولكن هذه المعارك العقلية العنيفة بين الغزالي من جهة وبين ابن رشد من جهة أخرى وكلها تتم من خلال مؤلفاتهم وحدها، فإن الدكتور عبد الحليم محمود يرى أن ابن

---

(٧٨) د. خليل أحمد خليل، **مستقبل الفلسفة العربية**، ص ١٥٥.

(٧٩) راجع: **تهافت التهافت** لابن رشد من تحقيق د. سليمان دنياو، ص ٢٣.

رشد كان أدق في التعبير عن رأي الفلاسفة أو على الأقل عن رأي الفارابي من كلام الغزالي[٨٠]. وجدير بالذكر أن الغزالي لا يثق في كل ما نقل عن أهل اليونان إلا عن طريق الفارابي وابن سينا بل إن الفلاسفة الذين يقصدهم في مؤلفات هما الفارابي وابن سينا، وقد ذكر فيها اسميهما كما وجدنا في كتابه "تهافت الفلاسفة"[٨١].

ويذكر الدكتور حسين مروة أن الفارابي هو أول فيلسوف عربي وضع نظرية الفيض الأفلوطينية في سياق التطور التاريخي للفلسفة العربية من حيث هي علم وأيديولوجيا[٨٢]، وكان هذا يوحي بأن اليونان والإسلام من خلال مصادرهما أفاد منهما الفارابي بكل تأكيد، وأما بالنسبة إلى وصف الفلسفة بالإسلامية والعربية فإن هذا الأمر يختلف اختلافا لفظيا فقط مع أن حقائقه واحدة. ولذا فإن الفلسفة إسلامية أو عربية لها نفس المنهج والمباحث، ولا أريد مناقشة هذه القضية إذ قد يكون ذلك خارجا عن الموضوع ولكن الإسلامية واليونانية تختلفان اختلافا جذريا من حيث الجوهر والمنهج على السواء، وإن كانت هناك بعض الجوانب اليونانية التي تتفق والتعاليم الإسلامية وبخاصة فيما ليس في جوهر الدين وبالتحديد فيما ليس من جوانب الإلهية التي تتعلق بالعقيدة. وكان للإمام الغزالي فضل عظيم في تحديد هذه المسائل وإن كان من ناحية حكمه على الفلسفة والفلاسفة قد أثار جدلا واسعا ومعقدا شغل الفلاسفة والباحثين على مر العصور وحتى يومنا هذا ما زال الأمر في غلية الاضطراب والخلاف بين التأييد والمعارض.

ولقد تعرض الفلاسفة الإسلاميون لأعنف الهجوم من قبل العلماء والفقهاء – كما تقدم – وبالإضافة إلى موقف الغزالي منهم فهناك من يهجم عليهم – الفارابي وابن سينا– من العلماء الإسلاميين، ونرى مثلا أن ابن الصلاح في فتواه عن الاشتغال بالفلسفة قد اعتبر الفلسفة كلها شر وضلال مما يستوجب عقابا قاسيا على المشتغلين بها[٨٣]. وكذلك نجد هجوما على الفارابي شخصيا (وله مذاهب في ذلك يخالف المسلمين والفلاسفة من

---

(٨٠) د. عبد الحليم محمود، **المرجع نفسه**، ص ٣٥٨.

(٨١) د. عبد المعطي بيومي، **المرجع نفسه**، ج ٢ / ص ٢٩. راجع أيضا: **تهافت الفلاسفة** للغزالي من تحقيق د. سليمان دنيا، ص ٧٧.

(٨٢) د. خليل أحمد خليل، **المرجح نفسه**، ص ١٠٨.

(٨٣) شن ابن الصلاح أعنف هجوم على الفلسفة ادعاء من جانبه أن الفلسفة اس السفه والاستحلال ومادة الحيرة والضلال ومثار الزيغ والزندقة.. الخ...

سلفه الأقدمين، فعليه إن كان مات على ذلك لعنه رب العالمين)[٨٤] ووسط هذه الموجة الهجومية فقد أعرب صاحب شذرات الذهب عن أسفه فيقول: وبالجملة فأخبره - أي الفارابي - وعلومه وتصانيفه كثيرة ولكن أكثر العلماء على كفره وزندقته[٨٥].

هكذا فإن التاريخ حافل بالصراع والتهجم ولا سيما في عالم الفكر الإنساني وإنما يأسف المرء حينما يكون مبعث التهجم والاستبداد في الرأى وعدم احترام حرية رأي الآخرين. ولا نغالي حينما نقول إن الفلاسفة قد دفعوا ثمنا غاليا بسبب آرائهم الفلسفة، فقد اتهموا بالكفر والزندقة والسفه والإلحاد وغيرها من التهم كما ذكرنا، وكان ذلك نتيجة حرصهم على التوفيق بين الدين والفلسفة مما لا يرضى به الفلسفة والعلماء كالغزالي وابن الصلاح. وقد تشكك بعض الباحثين في نية الغزالي والهدف في هجومه على الفلسفة والفلاسفة مما شغل الفلاسفة والباحثين من بعده[٨٦]. وقد وصف عدد من الباحثين هذا الهجوم بأنه قد قضى على الفلسفة قضاءا مبرما لم تقم لها بعده قائمة، ولكن الأمر في الحقيقة غير ذلك بل إن الفلسفة وعلومها ظلت باقية وإن فقد مكانتها في المشرق[٨٧].

وإذا كانت للدين حقائقه وللفلسفة حقائقها فإن بعض العلماء الإسلام قد رفضوا التوفيق بينها بأي حال من الأحوال، وذلك لأن هذه المحاولة لها أثر على كل من الدين والفلسفة على السواء، إذ أن لكل منهما حقائقه وتصوراته[٨٨]، فالعلماء في مواقفهم المعادية للفلسفة والفلاسفة إنما ينطلقون من موافقهم نحو العقل الإنساني بالذات الذي شغل الشاغل للفلاسفة جميعا في حين أن العقل عند العلماء محدود للغاية، ولا يمكن أبدا للعقل أن يتجاوز حدوده وإلا أن يتعرض للزيغ والضلال المبين. فحقيقة الروح مثلا فإن العقل الإنساني مهما كان فإنه لا يستطيع أن يعلم حقيقتها. وقد أقر القرآن الكريم بعجز

---

(٨٤) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١١ / ص ٢٢٤.

(٨٥) ص ١١٢ من مجلة "المورد" السابقة وراجع أيضا: دي بور، **تاريخ الفلسفة في الإسلام**، ترجمة د. أبي ريدة، ص ١٥٤.

(٨٦) يقول الدكتور سليمان دنيا إن الغزالي في تلك الفترة التي ألف فيها كتاب " تهافت الفلاسفة" كان يطلب الجاه والتشهير وبعد الصيت، وقد نقل الدكتور دنيا قول الغزالي ما يؤيد ذلك، راجع: "تهافت الفلاسفة" من تحقيق د. سليمان دنيا، ص ٦٩.

(٨٧) دي بور، **تاريخ الفلاسفة في الإسلام**، ترجمة د. أبي ريدة، ص ٢٣١. وراجع: د. عبد المعطي بيومي، **الفلسفة الإسلامية في المشرق والمغرب**، ج. ٢ / ص ٥٠.

(٨٨) راجع: د. محمد عبد الستار، **المدرسة السلفية**، ص ١٨٧.

العقل الإنساني ومحدوديته حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[٨٩] ويقول رسول صلى الله عليه وسلم : "تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا"[٩٠]. وكل هذا يشير إلى قصور العقل الإنساني، وإن له مجالاته المحدودة كما سنها الله سبحانه وتعالى للإنسان.

فالخلاف بين العلماء والفلاسفة – إن صح هذا التعبير – يرجع أولا إلى تحديد تلك المجالات المذكورة، وبعبارة آخر إلى أي مدى يمكن للعقل أن يتوصل إليه؟ وذلك لأن الفلاسفة الإسلاميين – الفارابي وابن سينا منهم – قد اعترفوا بالعجز العقلي كما يظهر في مؤلفاتهم بشأن المعرفة العقلية وبخاصة أن الفارابي نفسه قد صرح بأن الإنسان لا يدرك الأشياء إلا من ظواهرها وأعراضها ولوازمها، وكذلك ابن سينا فإنه قد وقف موقف أستاذه من هذه القضية[٩١]. ولهذا قضية التوفيق بين المصادر الإسلامية واليونانية التي شغلت بالفلسفة والإسلاميين طوال عصورهم لا تخرج عن هذا الإطار، وهو ما يحدده الإسلام نفسه في نظرهم وذلك لأن هذه القضية تعتمد على العقل أو التأويل بلغة الدين، الأمر الذي يطلبه الدين الإسلامي من الراسخين في العلم – كما تقدم – ولمكانة العقل عند الفلاسفة والفارابي بوجه خاص. فقد أشار أحمد أمين إلى أنه بالإضافة إلى الفلسفة اليونانية والديانة الإسلامية فإن الفارابي قد استقى كل آرائه مما توصل إليه العقل من خلال العمل التوفيقي كما ذكرنا.

الخلاصة

الواضح مما بينا أن الفارابي قد استحق بالقب الفيلسوف العظيم بعد أرسطو اليوناني نظرا إلى عكوفه على دراسة الأفكار الفلسفية وهي منتشرة في عصره حيث لا شك أنها غنية بالمعلومات التي يبحثها كل من يحب العلم علما بأن الإسلام يدعو دائما إلى التعقل وإن الحكمة ضالة المؤمن أين وجدها فهو أحق بها كما يقوله الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم. وعلى هذا الأساس حاول الفارابي من جانبه أن يوفق بين الدين والفلسفة من خلال عدة المسائل الفلسفية مؤكدا على أنها لا تتعارض مع الإسلام لأن الحق لا يتعارض

---

(٨٩) سورة **الإسراء**: الآية ٨٥.

(٩٠) راجع: **فيض القدير**، شرح الجامع الصغير المناوى، المجلد الخامس، ص ٢٦٢.

(٩١) سنتناول الحديث عن المعرفة الإنيانية عند الفارابي في الفصل الرابع من هذا الباب وفي الفصل الخاميس من الباب الثاني بالنسبة إلى المعرفة الإنسانية عند ابن سينا.